

من كنوز مواظظ ابن الجوزي

دموع الخشية تمحو الخطايا .. والندم واجب على صاحب الذنب

الحكمة متحة ربانية جليلة يؤتيها من يشاء «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقد رُخر التاريخ الإسلامي برجال من الله تعالى عليهم بأن أجرى الحكمة على الستتهم ونبخلت بها شفافهم متأسين في كلامهم بسيد الحكماء محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء الحكماء العالم الرباني ابن الجوزي رحمه الله، وهذه جملة من الحكم والوعاظ التي أترت عن هذا الحكيم نفعنا الله وإياكم بها؛ الذنوب تغطي على القلوب، فإذا انظلمت مرآة القلب لم يبن فيها وجه الهدى، وعن علم ضرر الذنب استنصر الندم.

يا صاحب الخطايا.. أين الدموع الجارية، يا أسير المعاصي أبك على الذنوب الماضية، أسفا لك.. إذا جاءك الموت وما أتيت، واحسرة لك إذا ذهبت إلى التوبة فما أجبت، كيف تصنع إذا شودي بالرحيل وما تأميت، ألتست الذي بارزت بالكناثر وما راقت؟

أسفا لعديكمذا كثرت أوزاره قل استغفاره، وكلما قرب من القبور قوي عنده القنور، أذكر اسم من إذا أطعته أقامك... وإذا أتيتك شاكرا زائدك.. وإذا خدمته أصلح قلبك وفؤادك أيها الغافل ما عندك خير منك؟ فما تعرف من نفسك إلا أن تجوع قتاك، وتشبع فتنام، وتغضب فتخاصم، قيم تميزت عن البهايم! واعجبا لك! لو رأيت خطا مستحسنا لرقم لأدركك الدهش من حكمة الكاتب، وأنت ترى رقوم القردة ولا تعرف الصانع، فإن لم تعرفه بثلث الصنعة فتعجب، كيف أعنى بصيرتك مع رؤية يصرف!

يا من قد وهي شبابه، وامتلا بالزلل كتابه.. أما بلغك أن الجلود إذا استشهدت نطقا! أما علمت أن النار للعصاة خلقت! أنها لتحرق كل ما يُلقى فيها، فتذكر أن التوبة تحجب عنها، والدمعة تطفئها.

سلوا القبور عن سكانها، واستخبروا السحود عن قطانها، تخبركم بخشونة المضاجع، وتعلمكم أن الخسرة قد ملأت المواضع، والمسافر يود لو أنه راجع، فليتعض الغافل وليراجع.

يا مُطالبيا بأعماله، يا مسؤولا عن إفعاله، يا مكتوبا عليه جميع اقواله، يا مناقشا على كل أحواله، تسبناك لهذا أمر عجيب!

أن مواظظ القرآن ذئيب الحديد، وللقوم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب التيرة كل يوم به وعيد، غير أن الغافل يئلوه ولا يستفيد كان بشر الحافي طويل السهر يقول: أخاف أن يأتي أمر الله وأنا نائم من تصور زوال الحن وبقاء الفناء هان الابتلاء عليه، ومن تفكر في زوال اللذات وبقاء العار هان تركها عنده، ما يلاحظ العواقب إلا يصرف نابق.

عجبا لمؤثر القائية على الباقية، ولبائع البحر الخضم بساقية، ولخضار دار الفكر على الصافية، ولقدح حب الأرض على العافية. قدم علي محمد بن واسع ابن عم له فقال له: من أين أقبلت؟.. قال، من طلب الدنيا، فقال: هل أبركتها؟ قال لا، فقال: واعجبا! أنت تطلب شيئا لم تدركه، فكيف تترك شيئا لم تحظله. يُجمع الناس كلهم في صعيد، ويتفلسون إلى شقي وسعيد، فقوم قد حل بهم الوعيد، وقوم قياتهم نرمة وعيد، وكل عامل يغترف من مشربه.

كم نظرة تحلو في العاجلة، مرارتها لا تطاق في الآخرة، يا ابن آدم فليكن قلب ضعيف، وربك في إطلاق الطرف رأي سخيف، فكم نظرة محقرة زلت بها الأقدام يا ظلل الهوى! متى يؤنس منك رشد، عينك مطلقة في الحرام، ولسانك مهمل في الآثام، وجسدك يتعقب في كسب الحطام.

أين ندمك على ذنوبك؟ أين حسرتك على

عيوبك؟ إلى متى تؤذي بالذنب نفسك، وتضع يومت تضيعك أمست، لا مع الصادقين لك قدم، ولا مع الثائنين لك ندم، هلا بسطت في الدجي يدا سائلة، وأجريت في السحر دموعا سائلة، تحب أولادك طيعا فأحبب والديك شرعا، وارع أصلا ثم فرعا، وأذكر لطفهما بك وطيب الرعي أولا وأخيرا، فتصدق عنهما أن كانا سيئين، واستغفر لهما واقض عنهما الدين من لك إذا ألم الألم وسكن الصوت وتمكن الندم ووقع الفوت وأقبل لأخذ الروح ملك الموت وثرات منزلا ليس بمسكون؟ فيا أسفا لك كيف تكون أهوال القبر لا تطاق؟

كان القلوب ليست منا، وكان الحديث يعني به غيرنا، كم من وعيد يخرق الأذان.. كأنما يعني به سوانا.. أصمنا الإعمال بل أعمانا. يا ابن آدم فرح الخطيئة اليوم قليل، وحزنها في غد طويل، ما دام المؤمن في نور التقوى، فهو يصير طريق الهدى، فإذا أطبق غلام الهوى عدم النور انتبه الحسن ليلة فبكي،

فضح أهل الدار بالكباء فسألوه عن حاله فقال: ذكرت دنيا فبكيت! يا مريض الذنوب ما لك دواء كالبراء يا من عمله بالتفاق مغشوش، تترزين للناس كما تزين المتقوش، إنما يُنظر إلى الباطن لا إلى النقوش، فإذا همت بالمعاصي فأذكر يوم النعوش، وكيف تحمل إلى قبر بالجنجل مفروش.

الك عمل إذا وضع في الميزان زان؟ علك قشر لا لب، واللب يثقل الكفة لا القشر رحم الله أعظما- تصبى في الطاعة وانتصبت، جن عليها الليل فلما تمكن وثبت، وكلما تذكرت جهنم رهبت وهربت، وكلما تذكرت دنوبها تاحت عليها ونديت، يا هذا لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا تنذير أبلغ من الشيب إلى كم أعمالك كلها قباح، أين الجد الي كم مزاح، كثر الفساد فابن الصلاح، ستغرق الأرواح الأجساد أما في غدو وأما في رواج، وسيختو البلى بالوجوه الصباح، آقي

هذا شك أم الأمر مزاح.. فليجلا المعاصي إلى حرم الانابة، وليطرق بالأسحار باب الاجابة، فما صدق صادق فرد، ولا أتى الباب مخلص فصد، وكيف يُرد من أسدعي؟ وإنما الشأن في صدق التوبة.

الأيام مطايا بيدها أزمة ركبائها، تنزل بهم حيث شاءت، فبينما هم على غوار بها اقتنهم فوطئتهم بيماسمها.

التنظر النظر إلى العواقب، فإن اللبيب لها راقب، أين نعب من صام الهو جر؟ وأين لذة المعاصي الفاجر؟ فكان لم ينعب من صابر اللذات، وكان لم يلدن من نال الشهوات، جيلت القلوب على حب من أحسن إليها، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه احذر نثار النعم فما كل شارد يبرود، أنا وصلت اليك أطرافها فلا تنكر اقصاعها بقلة لتكفر.

يا هذا، ماء العين في الأرض حياة الزرع، وماء العين على الخد حياة القلب.



يا طالب الجنة.. بذنب واحد أخرج أبوك منها، أنطمع في دخولها بذنوب لم تنب عنها! أن امرا تنقضي بالجهل ساعاته، ونذهب بالمعاصي أوقاته، لخلق أن تجري دائما دعوه، وحقيق أن يقل في الدجي هجوه.

أعقل الناس محسن خائف، وأحمق الناس سسي آمن.. لا يطعمه البطال في منازل الأبطال، أن لذة الراحة لا تنال بالراحة، من زرع حصد ومن جد وجد، فإلما لا يحصل إلا بالنعب، والعلم لا يدرك إلا بالنصب، واسم الجواد لا يتاله بخيل، ولقب الشجاع لا يحصل إلا بعد تعب طويل.

كاثبوا بالدموع فضاءهم الحلف جواب، اجتمعن أحزان السر على القلب فاوقد حوله الأسف وكان الدمع صاحب الخير فثم.

كيف يفرح بال دنیا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى اجله، وحياته على مونه.

الدنيا في اديار، وإهلها منها في استكثار، والزراع فيها غير التقى لا يحصد إلا الندم والعار.

ويحك! أنت في الغب محصور إلى أن ينفخ في الصور، ثم راكب أو مجرور، حزين أو مسرور، مطلق أو مأسور، فما هذا اللهو والغرور!

ياي عين تراني يا من بارزني وعصاني، ياي وجه تطلاني، يا من نسى عظمة شائي، خاب المحجوبون عني، وهلك الميعدون مني.. يا هذا زاحم باجتهادك المتقن، وسر في سرب أهل اليقين، هل القوم إلا رجال طرخوا باب التوفيق ففتح لهم.

الأرب فرح بما يؤتى قد خرج اسمه مع الموتى، الأرب معرض عن سبيل رشده، قد أن أو أن شق لحده، الأرب ساع في جمع خطاهه، قد دنا تشبعت عظامه، الأرب مجد في تحصيل لذاته، قد أن خراب ذاته يا مضيعا اليوم تضيعه أمس، تيقظ ويحك فقد قتلت النفس، وتنبه للسعود فإلى كم نحس، و أحفظ بقية العمر، فقد بعث الماضي بالبخس.

عندك مطلقة في الحرام، وإسائك منبسط في الآثام، ولأقدامك على الذنوب أقدام، والكل مثبت في الديوان.

كانوا يتقون الشرك والمعاصي، ويجمعون على الأمر بالخير والنواصي، ويحذرون يوم الأخذ بالأقدام والنواصي، فاجتهد في لحاقهم أيها العاصي، قبل أن تبتعث الملون.

أنبأوا الشفاه يطليون الشفاء بالصيام، وأنصباوا لما انتصباوا الأجساد يخافون المعاد بالمقيا، وحفظوا الألسنة عما لا يعني عن فضول الكلام، وأناخوا على باب الرجا في التجي إذا سجي الظلام، فأتشبوا مخاليب طمعهم في العقو، فإذا الأظفار ظافرة.

يا مقيمين سترحلون، يا غافلين عن الرحل ستفعلتون، يا مستقرين ما تتركون، أراكم متوطنين تامنون الملون وعظ أعرايي أبنة فقال: أي بني الله من خاف الموت يادر القوت، ومن لم يكح نفسه عن الشهوات أسرع به التبعات، والجنة والنار أمامك.

إن النفس إذا أطمعت طمعت، وإذا أقتعت باليسير فقتعت، فإذا أردت صلاحها فاحبس لسانها عن فضول كلامها، وغض طرفها عن حرم نظر الناس، وكف فها عن مؤذي شهيواتها، أن تستع أن تسعى لها في نجاتها.

علامة الاستقراج! العمى عن عيوب النفس، ما ملكها عبدا لأع، وما ملكت عبدا الأذل، ميزان العدل يوم القيامة تين فيه الزرة، فيجزى العبدعلى الكلمة قالها في الخير، والنظرة نظرها في الشر، فيا من زاده من الخير نظيف، احذر ميزان عدل لا يحيف.

سمع سليمان بن عبدالمك صوت الرعد فانزع، فقال له عمر بن عبدالعزيز: يا أمير المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

يا من أجبت أرض قلبه، متى تهب ريح المؤمنين هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه؟

قال بعض السلف: من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال، فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل.

كلاك مكتوب، وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلق، ولك ذنوب وما تنوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب فما أقسى قلبك من بين القلوب..

شبهات وردود من القرآن

كثير من شبهات تتخلق على السنة الناس وخاصة النساء اللاتي غاب عنهن العلم بكتاب الله تعالى والفقه في الدين وبشجرة بسيمطة سنوره بعض الشبهات وكيف فهدا القرآن الكريم بكمات مختصرة قليلة البني عظيمه الاثر والمعنى، وعلى سبيل المثال لا الحصر: أنك تسمع من تقول: «أنا أحب الله وهذا يعني» تقول لها: «هل أن كنتم تحبون الله فأتبعوني بحبيكم الله»

وهناك من تقول: أن الدين يسر

تقول لها: «يريد الله يكمل اليسر».. ولقد أمر الله بالحباب للتيسير وتقول: أن التبرج أمر هيئ.. ونقول: «وتحسبونه هيئا وهو عند الله عظيم».

وتقول:أنني صغيرة وسوف أنتحب عندما أكبر، وتقول لها: أن الموت لا يعرف صغيرا ولا كبيرا.

وهناك من تقول سوف أنتحب بعد الزواج.. ونقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « أن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه».. فقد يحرك الله من الزواج.

وتقول: زوجي لا يرضى الحجاب، وتقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»..

وهناك من تقول: أنتحب عندما أقتنع بالحجاب، ونقول: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».. وتقول: أن الحجاب يعوق عن العمل، وتقول: رضا الله وجنته أغني من كل شيء.

وتقول: لا أطيع الحجاب في الصيف والحر، وتقول: «قل نأر جهنم أشد حرا».

وتقول: أن طهارة القلب نفعي عن الحجاب.. ونقول: لو طهر القلب لاستقامت الجوارح...فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب».

خروج نار من جهة اليمن

في تلك الوقت تخرج نار من جهة اليمن، تبدأ بحشر الناس كلهم، والناس تهرب على الإبل، الاربعة على بعير واحد، يتألبون عليها، يهرب الناس من هذه النار حتى يتجمعوا كلهم في الشام على أرض واحدة.

النفخ في الصور

فإذا تجمع الناس على هذه الأرض.. أذن الله عز وجل لنافخ الصور أن ينفخ النفخة الأولى فإن الساعة قد قامت، عندها كل المخلق يموتون، البشر والحيوانات والطيور والحشرات والجن وكل مخلوق في الأرض والسماة إلا من شاء الله. وبين النفخة الأولى والثانية اربعون لا يدرى اربعون ماذا؟ يوم، أسبوع، شهرا في خلال هذه الأربعين ينزل مطر شديد من السماء، والجساد الناس من آدم إلى أن انتهت الأرض تبدأ تنبت وتتكون، فإذا اكتملت الأجساد، أمر الله نافع الصور أن ينفخ ليل الناس أهوال القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئا».

تغطي بدخان يحجبهم عن الشمس وعن الكواكب وعن السماء، فيبدأ الناس (الضالون) بالكباء والاستغفار والدعاء، لكن لا ينفعهم.

حدوث الخسوف

يحدث ثلاثة خسوف، خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. خسف عظيم، ينتقع الناس.. في تلك الأيام تخرج ريح طيبة من قبل اليمن تنتشر في الأرض وتقضي روح كل مؤمن على وجه الأرض.

تقبض روحهم كالزكاة (مثل العجسة)، فلا يبقى بالأرض إلى شرار الناس، فلا يوجد مسجد ولا مصحف، حتى أن الكعبة ستهدم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كأنني أراه يهدم الكعبة بالمقاس».. فلا يجد إلى بيت الله وترفع المصاحف، حتى حرم المدينة المنورة، يأتيه زمان لا يمر عليه إلا السباع والكلاب، حتى أن الرجل يمر عليه فيقول، قد كان هنا حاضر من المسلمين.

في ذلك الوقت لا يبقى بالأرض إلا الكفار والمجبار، لا يقال بالأرض كلمة الله، حتى أن بعض الناس يقولون كنا نسمع أجدانا يقولون لا إله إلا الله، لا يعرفون معناها، انتهى الذكر والعبادة، فيتهارجون تهارج الحضر، لا يوجد عدالة ولا صدق ولا أمانة، الناس يأكل بعضهم بعضا ويجمع شياطين الإنس والجن.

ماتوا وأهلكهم الله، فينزل عيسى والمؤمنون إلى الأرض مستبشرين بقتل ياجوج وماجوج وعندها يدعو عيسى ربه بأن يجيئه ويخلصه لأنهم قد أنتنوا الأرض كلها، فأتاني طيور عظيمة فتحمل هذه الحثث، وينزل المطر فيغسل الأرض.. لم تنبت الأرض ويحكم عيسى بن مريم حكمه العادل في الأرض، ففتبت الأرض وتكثر الخيرات، ثم يموت عيسى بن مريم. خروج الدابة بعد هذه الأحداث، تبدأ أحداث غريبة، يسمع الناس فجأة أن هناك دابة خرجت في مكة، حيوان يخرج في مكة، هذا الحيوان يتكلم كالإنس، لا يتعرض له أحد، فإذا رأى إنسان وعقله، وإذا رأى كافر، ختم على جبينه أنه كافر، وإذا رأى مؤمنا ختم على جبينه أنه مؤمن وإن يستطيع تغييره، يتزامن خروج الدابة، ربما في نفس يوم خروجها، يحدث أمر آخر في الكون، وهو طلوع الشمس من مغربها حيث يقلل باب التوبة نهائيا، لا ينفع استغفار ولا توبة في ذلك اليوم.. تطلع الشمس لمدة ثلاثة أيام من المغرب ثم ترجع مرة أخرى، ولا تنتهي الدنيا غير أن باب التوبة قد أغلق.

الدخان

وبعدھا يحدث حدث آخر، فيرى الناس السماء كلها قد امتلأت بالدخان، الأرض كلها

علامات الساعة الكبرى والصغرى (2)

يأجوج وماجوج وخروج الدخان والنفخ في الصور

خروج ياجوج وماجوج

فيهرب المسلمون إلى رؤوس الجبال، ويخرج ياجوج وماجوج لا يتركون أخضر ولا يابسا، بل يأتون على بحيرة فيشربونها عن آخرها (تجف)، حتى يأتي آخرهم فيقول: قد كان في هذه ماء، طبعامكت عيسى في الأرض كان لسبع سنين، كل هذه الأحداث تحدث في سبع سنين، عيسى الآن من المؤمنين على الجبال يدعو الله جل وعلا، ويأجوج وماجوج يعيلون بالأرض مفسدين وقلوا أنهم قد قتلوا وقضوا على جميع أهل الأرض، ويقولون تريد أن تقتل ونقضى على أهل السماء، فيرمون سهامهم إلى السماء، فيذهب السهم ويرجع بالدم فيقتلون أنهم قتلوا أهل السماء «يخادعون الله وهو خادعهم».

نهاية ياجوج وماجوج وموت عيسى عليه السلام

بعد أن يلهوا بمغشهم ويدعو عيسى بن مريم والمؤمنين الصادقين، يرسل الله عز وجل على ياجوج وماجوج دودة اسمها النغف يقتلهم كلهم قتل نفس واحدة.

فيرسل عيسى بن مريم رجلا من خير الناس لينزل من الجبل ليرى ما حدث على الأرض، فينظر ويرجع يبشر عيسى وعن معه أنهم قد